Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(6); June 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
02.05. 2019	02.06.2019	15.06.2019.

Translation movement in the first Abbasid period and its impact on the flourishing of Arab civilization

حركة الترجمة في العصر العباسي الأول وأثرها في ازدهار الحضارة العربية

أ. م. د. أسماء عبد عون شياع الحسناوي

كلية دجلة الجامعة الأهلية

Ass.Prof.Dr ASMAA ABD OUN SHYAA
Dijlah University college

الملخص

تمتد جذور حركة الترجمة إلى عصور بعيدة في التاريخ، فهي نشاط إنساني يواكب التطور الاجتماعي البشري في جميع مراحله لأن الإنسان في حاجة ملحة إلى التواصل مع الأمم والشعوب مهما اختلفت لغاتها.

وظهرت الترجمة نتيجة للأنشطة الإنسانية منذ بدايات المجتمع البشري، وما تضمنه من نشاطات دينية واقتصادية وعسكرية استطاعت أن تخرج بالشعوب من حدودها الجغرافية لتتفاعل مع جيرانها.

كانت أولى صور الترجمة هي الترجمة الشفوية نظراً لبساطة النظم اللغوية وعدم اختراع الكتابة، فكانت الترجمة أداة تفاهم بين القبائل والتجمعات البشرية، وفي العصور القديمة لعبت الترجمة دوراً مهماً

في نشر التعاليم الدينية والنتاج الفني والأدبي وساعدت في إحداث التفاعل بين الحضارات القديمة كالبابلية والآشورية والفينيقية والفرعونية والإغريقية.

وفي بلاد وادي الرافدين عثر على مخطوطات قديمة ثنائية اللغة يرجع تاريخها إلى عام 3000 ق.م. ، فضلاً عن حجر الرشيد الذي يعد من أقدم الدلائل التي توضح نشاط الترجمة.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن العرب مارسوا الترجمة بوصفها نشاطاً إنسانياً وأداة تواصل مع الأمم المجاورة، وتصاعد هذا النشاط بعد الفتح العربي لبلاد فارس والعراق والشام ومصر حيث امتزجت حضارتهم ولغتهم بالحضارات القائمة آنذاك، وانفتحوا على ثقافات وعلوم لم يألفوها، ونقلوا من العلوم ما أثرى ثقافتهم وحضارتهم العربية الإسلامية.

وبلغت الترجمة عصرها الذهبي خلال العصر العباسي الأول بدءً من عهد الخليفة أبو جعفر المنصور ومن ثم الخليفة هارون الرشيد إلى أن وصلت قمتها في عهد الخليفة المأمون حيث اضطلعت مؤسسة بيت الحكمة بدور فاعل في نشر الترجمة وتأطير عمل العلماء والمترجمين.

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الأضواء الكاشفة على حركة الترجمة في العصر العباسي الأول وبيان مراحلها التاريخية وعوامل تطورها ودورها في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وحصول التفاعل الحضاري والتلاقح الثقافي بين العرب والحضارات المجاورة لهم.

واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي في تناول أبعاد الموضوع موضع البحث.

Abstract

The roots of the translation movement extend back to distant times in history, It is a human activity that keeps pace with human social development In all its stages because the human being is in urgent need to communicate with other nations and peoples no matter how different their languages.

Translation has emerged as a result of human activities since the beginnings of human society, And its religious, economic and military activities have been able to bring people out of their geographical boundaries to interact with their neighbours.

The first translation was interpretation given the simplicity of language systems and the non-invention of writing Translation was a tool of understanding between tribes and human gatherings, n ancient times, translation played an important role in the dissemination of religious teachings and artistic and literary production, and helped the interaction between ancient civilizations such as Babylonian, Assyrian, Phoenician, Pharaonic and Greek .

In Mesopotamia, ancient bilingual manuscripts dating back to 3000 BC were found, As well as Al-Rasheed stone, which is one of the oldest evidence of the activity of translation.

Historical sources indicate that the Arabs practised translation as a humanitarian activity and a tool of communication with neighbouring nations, This activity escalated after the Arab conquest of Persia, Iraq, Syria and Egypt Where their civilization and language merged with the existing civilizations and opened up to cultures and sciences they did not know, they have transferred from science the richness of their culture and their Arab-Islamic civilization .

The translation reached its golden age during the first Abbasid period, beginning with the era of Caliph Abu Jaafar al-Mansur and then the Caliph Harun al-Rashid until it reached its summit in the reign of Caliph Al-Ma'amun, where Bayt Al-Hikmah has played an active role in disseminating the translation and evaluating the work of scholars and translators.

This study seeks to shed light on the translation movement in the second Abbasid period, and the statement of its historical stages and factors of prosperity and its role in the flourishing of civilization Arab Islamic civilization and the interaction of civilization and cultural cross-fertilization between Arabs and neighbouring civilizations.

This study adopted the historical approach in dealing with the dimensions of the subject.

مراحل الترجمة في العصر العباسي الأول

عرفت الترجمة في العصر العباسي الأول ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى:

ابتدأت من خلافة أبي جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد، وقد كان أبو جعفر المنصور الذي حكم من 136هـ/158هـ شغوفاً بالطب والهندسة والفلك والنجوم. وهو أول من راسل ملك الروم طالباً منه كتب الحكمة والمعارف الأخرى، فبعث إليه كتاب إقليدس وبعض كتب الطبيعيات[1]، وجمع حوله صفوة مختارة من العلماء في مختلف المعارف، وشجع المترجمين على النقل والترجمة، وأنشأ ديواناً للترجمة.

كما نقل جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع للخليفة المنصور كتباً كثيرة من كتب اليونان، وكان قد استقدمه من مدرسة جنديسابور التي كان رئيساً للأطباء فيها، فغدا طبيبه الخاص[2].

وفي عهد الرشيد الذي حكم من 170هـ إلى 193هـ اهتم بترجمة الكتب ووسع ديوان الترجمة الذي أنشأه المنصور، لنقل العلوم، وطلب من البيزنطيين بعد فتح عمورية تسليمه المخطوطات الإغريقية القديمة، وأشهر الكتب التي ترجمت في عهده كتاب المجسطي لـ بطليموس ومعناه الترتيب الكبير في علم الفلك.

وعرفت هذه المرحلة مترجمين كثر منهم يحيى بن البطريق الذي ترجم كتاب السماء والعالم لـ أرسطو، ثم عبدالله بن المقفع الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة وبعض الكتب الأرسطية، ويوحنا بن ماسويه الذي اختص بترجمات الكتب الطبية.

المرحلة الثانية

ابتدأت منذ تولي الخلافة من طرف المأمون حتى وفاته، فقد حكم عشرين سنة من 198هـ إلى 218هـ، وكان يميل إلى العلم والحكمة والمناظرة، حيث كان يجمع العلماء ورجال الفكر والأدب ليتناظروا في حضرته وكان يشاركهم في مناظراتهم[3].

وقد طالب المأمون الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث أن يتنازل عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية حتى يتم الصلح بين الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية[4].

كما أرسل البعثات إلى بلاد الروم للحصول على الكتب حتى يتم نقلها وترجمتها إلى اللغة العربية[5].

إن أهم ما يميز حركة الترجمة في عهد المأمون هو أنه نظمها وجعلها نشاطاً رسمياً من نشاطات الخلافة، وأنفق من أجلها الأموال الطائلة، حيث كان يعطي لمن يترجم زنة ذهب ما ينقله من الكتب إلى اللغة العربية مثلاً بمثل[6].

وفي عام 215هـ أنشأ المأمون مدرسة للترجمة في بغداد سميت باسم بيت الحكمة، وقد اعتبرت بمثابة أكاديمية علمية وفلسفية، وكانت مقسمة إلى أقسام عدة منها قسم النقل ويتألف بدوره من فروع صغيرة حسب اللغات: اليونانية، الفارسية، السريانية، الهندية ...، وقسم خاص بالتأليف، وآخر خاص بالبحث الفلكي والمرصد.

وقد وضع هذا البيت بأقسامه كلها تحت إشراف عالم أو عالمين، وهذا ما يفسر ورود اسم شخصين أو أكثر على أن كلاً منهما رئيس بيت الحكمة، وأول من ترأس هذا البيت هو يوحنا بن ماسويه، وكان حنين بن إسحاق الشاب أنشط من فيها من المترجمين[7].

وبعد 25 سنة جدد المتوكل هذه المدرسة وجعل حنين رئيساً لها، وأشهر المترجمين في عصر المأمون هم: يوحنا بن البطريق، الحجاج بن مطر، قسط بن لوقا البعلبكي، عبدالمسيح حنين بن إسحاق، ثابت بن قرة الصابئي.

وكانت الترجمة في هذه المرحلة تتم من السريانية واليونانية إلى اللغة العربية، كما أن المترجمين قاموا بإصلاح الترجمات السابقة وخاصة ترجمات إسحاق بن حنين الفلسفية والرياضية على يد ثابت بن قرة، الذي قام بترجمة العديد من الكتب الفلكية والرياضية من تأليف إقليدس، وأبلونيوس، وبنقاماخوس، وأرطولوقس، وبطليموس[8].

المرحلة الثالثة

بدأت هذه المرحلة بعد وفاة المأمون، واستمرت قرابة نصف قرن، عرفت نوعاً من الاستمرارية والاستقرار، ثم بعد ذلك بدأت عملية التفلسف تدب داخل العالم الإسلامي، فتوقفت الترجمة تدريجياً[9].

عوامل ازدهار الترجمة في العصر العباسي الأول

يعود ازدهار حركة الترجمة وتوسعها خلال العصر العباسي الأول إلى عوامل عدة[10]:

1. كثرة الجدل والحوارات والمناظرات بين أصحاب الفرق من المسلمين من جهة ثم بين هذه الفرق وأصحاب الديانات والطوائف الأخرى من جهة ثانية، مما حدا بهم إلى الترجمة ونقل الثقافتين اليونانية والفارسية وخاصة كتب المنطق.
2. اتساع رقعة الإسلام واتصال المسلمين بالثقافات الأخرى، وتعرفهم على المدارس المنتشرة في الأراضي المفتوحة فاضطروا بذلك إلى نقل كتب تلك الحضارات والأمم.
3. رعاية الخلافة الإسلامية للترجمة، حيث كان المنصور والرشيد ومن بعدهما المأمون، يأخذون على عاتقهم أمر حركة الترجمة، فعملوا على تنشيطها مستخدمين شتى السبل والأساليب المادية منها والمعنوية، وقد بذلوا جهودهم للحصول على الكنوز المعرفية الموجودة في مكتبات الروم وخاصة مكتبات القسطنطينية.
4. رعاية بعض الأسر والأفراد للترجمة، ولعل أشهر الأسر التي تميزت بالترجمة أسرة موسى بن شاكر التي كانت مصدراً مالياً خصص لأعمال الترجمة، كما أقام بعض الأفراد مدارس خاصة لتعليم المترجمين وإصلاح ما يترجمون.
5. ترجمة الأمم الداخلة في الإسلام ثقافاتها إلى العربية، حتى يتعرف عليها العرب من جهة وحتى يحافظون عليها خوفاً من الاندثار، وكان ترجمة تراثهم إلى العربية، سواء بسوء نية أو بحسن نية باعتبار أن الإسلام يحتوي جميع الثقافات ويستوعبها[11].

الترجمة وازدهار الحضارة العربية:

اضطلعت حركة الترجمة بدور مهم في ازدهار الحضارة العربية في العصر العباسي، فهي تعد رافداً من روافد التنمية الثقافية واللغوية، عدا أنها إحدى وسائل الاتصال الإنساني والحضاري ونافذة على ثقافة الآخر وفكره، وأداة لنقل المنجزات الحضارية والمعارف.

وشهد العصر العباسي الأول انفتاحاً فكرياً نتيجة ما نقل من حضارة الشرق كالفارسية والهندية، وما نقل عن حضارة الغرب كاليونانية والسريانية، ولم يكن الجهل ببعض اللغات عائقاً، فقد استعان المترجمون بلغات وسيطة إذا ما عسر عليهم النقل من اللغة الأم، مثال ذلك عندما نقل المقفع كتاب كليلة ودمنة الهندية الأصل إلى العربية من لغة وسيطة هي الفارسية[12].

ويرى علماء أن العرب لم يتركوا حينئذٍ كتاباً يونانياً في أصله اليوناني أو في ترجمته السريانية إلا ترجموه إلى العربية[13].

وكدليل على الرقي الذي عرفته الترجمة في العصر العباسي الأول، جاء بيت الحكمة بوصفه أكاديمية عليا للترجمة لتؤطر جمهور العلماء والمترجمين، ولتحقيق الأهداف المرسومة للدولة العباسية المتمثلة في التواصل الدائم مع الأمم الأخرى والاطلاع على ثقافتهم وعلومهم وآدابهم، فقد أصبح بيت الحكمة رمزاً للنهضة الثقافية العربية الإسلامية في عهد المأمون الذي أغدق الأموال الطائلة على المترجمين الذين نقلوا علوم الأمم الأخرى وغذوا المكتبة العربية بالكتب المترجمة وقد اتكأت على تلك الترجمات العديد من المؤلفات العربية، وقد دار حوار الحضارات تحت سقف مكتبة بيت الحكمة حيث أن غالبية الذين تولوا أمر إدارتها وأشرفوا على حركة الترجمة فيها كانوا علماء من مختلف الثقافات[14].

ولا يمكن أن نتصور أي ازدهار للحضارة العربية ما لم تزدهر الترجمة في العصر العباسي من خلال بيت الحكمة الذي لعب دوراً أساسياً في توطين المعرفة، لذلك يوصف بالعصر الذهبي للترجمة، حيث تمت ترجمة بعض مؤلفات أفلاطون، أرسطو، بطليموس وغيرهم من الفلاسفة والأدباء، وبذلك كانت الترجمة أغزر وأعظم منافذ إثراء الحضارة العربية بمختلف أنواع العلوم والفنون والفلسفة[15].

وقد تمثل المترجمون والكتاب واللغويون وغيرهم، سواء أكانوا من أصول عربية أم من أصول أعجمية، الثقافات الإنسانية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ليوطنوا المعرفة من خلال حركة الترجمة التي مكنتهم من تحقيق أصعب معادلة في تاريخ الحضارات، إذ لم يضعوا فاصلاً بين أمة الفاتحين وشعوب البلاد المفتوحة.

وهذا الجاحظ أحد أبرز أعلام الفكر الثقافي في العصر العباسي الأول، تمثل ثقافات عصره، كان مطلعاً على ما ترجم إلى العربية من الثقافات الفارسية والهندية، وفي آثار اليونان في العلم والمعرفة، ومنها كتاب الحيوان لـ أرسطو، مما شجعه على تأليف كتاب الحيوان الذي هو الأول من نوعه في اللغة العربية، كان الجاحظ يقرأ للعلماء الأجانب بالإضافة إلى أرسطو ومعلمه أفلاطون وأبقراط وبطليموس وجالينوس حيث ورد ذكرهم في كثير من مواضع كتاب الحيوان[16].

وإذا كانت ثقافة الجاحظ وفكره قد ارتبطا في تطورهما وغزارتهما بحركة الترجمة التي ظهر تأثيرها في كثير من مؤلفاته، فإن الفارابي (339هـ) يعد أنموذجاً آخر من نماذج العلماء الذين أسهموا بشكل كبير في تفعيل حركة الترجمة وإقامة جسور التواصل الدائم بين الثقافة العربية والعديد من الثقافات واللغات الأخرى[17].

وامتدت حركة الترجمة إلى بلاد الأندلس التي شهدت حركة ترجمة فاعلة كانت إحدى العوامل الأساسية في تفعيل الاتصال بين الحضارتين العربية والغربية، ويعد أبو حيان الأندلسي (745هـ) أحد أقطاب الترجمة والتعريب، فقد كان ملماً باللغات الحبشية والفارسية والتركية، وقد ألف قواعد في هذه اللغات مثل: الإدراك على لسان الأتراك، منطق الخرس في لسان الفرس، جلاء الغيث عن لسان الحبش، ومقارنة بين اللغتين العربية والحبشية[18].

أثر الترجمة في التفاعل الثقافي :

كان للترجمة العديد من الآثار الإيجابية في التفاعل الثقافي خلال العصر العباسي الأول، وما نتج عنها من حراك بين الثقافة العربية وغيرها من ثقافات الأمم الأخرى.

ويمكن القول أن الحضارة العربية الإسلامية ما كان لها أن تعرف هذه القفزة النوعية لولا أثر الترجمة التي تمظهرت نتائجها الإيجابية على مستويات عدة لعل من أهمها إدراك العلماء العرب حقيقة أبعاد هذه الآليات اللغوية في التفاعل الثقافي بين الأمم، إذ أدركوا أن الترجمة لا تقف عند حدود النقل والتحويل، إنما تقوم بتوطين المعرفة، وهذا هو الأثر الأهم الذي أحدثته الترجمة ووعاه العلماء المترجمون.

فقد كان أبو بكر الرازي (865هـ- 925هـ) أول من رفض نظرية الأخلاط وذلك في كتابه (الشكوك على جالينوس)، وأخضع الطب للتجريب، وليس للمنظر الفلسفي، وعندما نصل إلى ابن زهر وابن النفيس، فإننا نكون قد ابتعدنا كثيراً عن أبقراط وجالينوس ووصلنا إلى بدايات الطب بمعناه الحديث، بما يتضمنه من تشريح وتجريب وجراحة.

في ضوء ذلك فإن الترجمة أدت في النهاية إلى توطين شيئين متكاملين هما: المعرفة ولغة المعرفة بحيث يمكن التفكير بلغة المعرفة للتوسع في المعرفة، والتوسع في المعرفة يوسع اللغة من داخلها[19].

ويعد الغزالي أحد العلماء الذين استفادوا من الترجمة وتعريب العلوم في عصره، ونتج عن هذه الاستفادة تجاوزه للمراحل الأولى للترجمة التي كان فيها المترجم معجباً ومنبهراً بالعلوم المنقولة، فقد انتقل الغزالي إلى مرحلة النقد والتعليل والتمحيص[20].

وعرف العصر العباسي ثقافات مختلفة هي ثمرة اختلاف العناصر الدخيلة على الثقافة العربية، فامتزجت ثقافات هذه العناصر عن طريق الحراك اللغوي الذي كان وراء نمو الحضارة العربية الإسلامية، و"كان هناك لقاح بين الثقافات ونشأت من هذا اللقاح ثقافات جديدة تحمل صفات من هذه وتلك، وصفات جديدة لم تكن في هذه ولا في تلك، وأصبح لها طابع خاص، يميزها عما سواها"[21].

ويمكن تحديد ثلاثة اتجاهات ثقافية رئيسة نتجت عن حركة الترجمة والتعريب خلال العصر العباسي الأول هي[22]:

1. الثقافة الفارسية.
2. الثقافة اليونانية.
3. الثقافة الهندية.

هذا بالإضافة – طبعاً– إلى الثقافة العربية — الثقافة الأم.

أبرز الإنجازات الترجمية في العصر العباسي الأول

نشطت الحركة العلمية في العصر العباسي الأول بشكل منقطع النظير وشملت كل جوانب المعرفة التي اشتهرت بها الثقافات الأجنبية.

فقد ترجم عبدالله بن المقفع كتاب (خداينامه) وهو كتاب في تاريخ الفرس من أول نشأتهم إلى آخر أيامهم، وقد سماه ابن المقفع تاريخ ملوك الفرس. وترجم كذلك كتاب (آيين نامه) ومعنى الآيين " النظم والعادات والعرف والشرائع. والكتاب وصف لنظام الفرس، وتقاليدهم وعرفهم.

كذلك ترجم ابن المقفع عن اللغة الفارسية كتاب (كليلة ودمنة)، وكتاب (مزدك) وهو يتضمن سيرة الزعيم الديني الفارسي المشهور، وكتاب (التاج في سيرة أنو شروان)، وكتاب (الأدب الكبير والأدب الصغير)، وكتاب (اليتيمة)[23].

وقد اهتم المترجمون بترجمة الكتب التاريخية والدينية والأدبية، ومن أشهر ما ترجم من الكتب التاريخية ما أشار إليه حمزة الأصفهاني: كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع، كتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه الأصفهاني[24].

وفي الأدب ترجم الكثير، ومن ذلك كتاب هزار أفسانه ومعناه ألف خرافه، وهو أصل من أصول ألف ليلة وليلة، وكتاب بوشناس، وكتاب خرافة ونزهة، وكتاب الدب والثعلب، وكتاب روزبه اليتيم، وكتاب نمرود، وكتاب موبذ موبذات، وكتاب أردشير في التدبير وتوقيعات كسرى، وكتاب أدب الحرب[25].

وعلى مستوى الأدب القصصي الذي أبان عن ولع المترجمين بترجمة القصص الهندي لما يتضمنه من حكم وأمثال تنسجم مع الطبيعة العربية.

ومن أشهر ما ترجم، كتاب السندباد الذي ورد ذكر اسمه في العنوان كتاب سندباد الحكيم وهو نسختان، كبيرة وأخرى صغيرة، والخلف فيه مثل الخلف في كتاب كليلة ودمنة، والغالب والأقرب أن تكون الهند صنعته.

وفي الفهرست إشارات أخرى من ابن النديم إلى عناوين كتب الهند المترجمة في الخرافات والأسماء والأحاديث[26].

أما المستوى الثالث ويتمثل في الحكم التي ترجمت عن الهندية إلى العربية، وقد اشتهرت الهند بهذا، وملئت كتب الأدب المؤلفة في هذا العصر بهذا النوع[27].

التنظير للترجمة في العصر العباسي الأول

– نظرية الجاحظ أنموذجاً –

يعد الجاحظ (159 – 225 هـ) أحد أبرز الكتاب في العصر العباسي الأول حيث توصف كتبه بأنها دائرة معارف لزمانه، فقد كتب في كل شيء تقريباً.

اهتدى إلى العلماء والأدباء فأكرموه وأعانوه، يقال أنه كتب كتباً ونسبها إلى من تقدمه من الكتاب أمثال عبدالحميد الكاتب وعبدالله بن المقفع وسهل بن هارون إلى أن قويت ثقته بمواهبه فأخذ يوقع كتبه باسمه[28].

عاش الجاحظ في بيئة مليئة بالعلوم ما جعل منه واحداً من أهم المؤلفين، حيث كانت البصرة مزدهرة علمياً حتى وصفت بـ (أثينا العرب) تنشط فيها حركة الترجمة.

ذكر الجاحظ للخليفة المأمون فدعاه إلى قصر الخلافة ونشأت بينهما صلة مودة واحترام، ثم ولاّه المأمون رئاسة ديوان الرسائل فعمل فيها لأيام ثم ترك الوظيفة.

عمل الجاحظ في التأليف وتقديم كتبه إلى الخلفاء والوزراء وتوطدت صلاته برجال الدولة، دعاه الخليفة المتوكل ليكون معلماً لأحد أولاده ولم يصل الكاتب إلى المهمة المطلوبة لينجو مرة أخرى من قيد الوظيفة.

تعددت رسائل الجاحظ وكتبه، ويقال أنها بلغت 360 وتوزعت في مختلف صنوف المعرفة، كان من أبرزها: الحيوان، البيان والتبيين، البخلاء، مناقب الترك، التاج، الإمامة، الحنين إلى الأوطان.

ومن رسائله: الحاسد والمحسود، الأخلاق، مفاخرة الجواري والغلمان، الآكل والمأكول[29].

أسس نظرية الجاحظ في الترجمة:

رسم الجاحظ معالم نظرية متكاملة للترجمة مازالت صالحة حتى اليوم، وتقوم هذه النظرية على العديد من الأسس لعل أبرزها[30]:

1. الإلمام الكامل للغتين المنقولة والمنقول إليها، وما يتصل بهما من نحو وإعراب.
2. الإلمام بموضوعة الترجمة.
3. ضرورة البيان والتبيين، والمراجعة والتدقيق وتلافي الخطأ.
4. عسر ترجمة الشعر العربي بسبب فقد وزنه وسر جماله.
5. ترجمة كتب الدين عويصة، وتستلزم شروطاً خاصة والخطأ فيها أضر.
6. الترجمة من لغة غير لغة النص الأصلي تؤثر على المعنى والجودة.
7. تنتج أخطاء الترجمة نتيجة عدم المعرفة الكاملة بعلم أو مجال النص.

المترجم ومعرفة اللغة والموضوع:

لقد وضع الجاحظ الصفات الواجب توفرها في المترجم حيث قال: "ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس الترجمة، وينبغي أن يكون أعلم باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية، وحتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الغيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى، وتأخذ منها، وتقترض عليها، وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه كتمكنه إذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما أو كذلك أن تكلم بأكثر من لغتين، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات، وكلما كان الباب من العلم أعمق وأضيق والعلماء به أقل، كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه ، ولن تجد البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء العلماء[31].

أن الجاحظ وإن كان لا يلغي مبدأ الترجمة في شيء إلا أنه يعتقد أن أكثر المترجمين مراساً يجد نفسه عاجزاً أمام بعض المصطلحات أو التعابير التي لا يجد لها مقابلاً أو مكافئاً، فيضطر أما إلى إهمالها في حالة العجز التام، أو إلى اللف والدوران حول معناها، أو شرحها بملاحظات على هامش الترجمة

والتي يعدها البعض دليل ضعف. في حين يفترض بالمترجم الجيد أن يكون في مستوى فكري لا يقل عن مستوى مؤلف النص الأصلي، وأن تتساوى معرفته بالموضوع مع معرفة المؤلف، وبانعدام هذا الشرط يقع في سوء فهم النص ويجعل الاطمئنان إلى عدم ضياع المرامي الدقيقة للنص عبر الترجمة أمراً غير مؤكد[32].

فالمترجم بحسب رأي الجاحظ "لا يؤدي أبداً ما قال، على خصائص معانيه، أو خصائص مذاهب ودقائق اختصاراته وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل، ويجب الجدي أو كيف يقدر على أدائها، وتسليم معانيها، والأخبار عنها على حقها وصدقها، إلا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها، وتأويلات مخارجها، مثل مؤلف الكتاب وواضعه، عارف بـ (أبنية الكلام وعادات القوم وأسباب تفاهمهم)[33].

وهذا الأمر أكده جورج مونان بعد الجاحظ بقرون مبرزاً دور الثقافة في عملية الترجمة بقوله ونحن نرى أن الترجمات كالنساء، فلكي تكون كاملة وافيه يجب أن تكون أمينة وجميلة معاً، ومن المؤكد أن هذه المثالية صعبة المنال، ولكنها المثالية التي يؤكدها الجميع .."[34].

ويؤكد مونان ما ذهب إليه الجاحظ من أهمية معرفة وفهم ثقافة البلد التي يتحدث اللغة المترجم عنها بقوله "لكي تترجم فان معرفة اللغة وحدها لا تكفي، بل يجب أن نضيف إليها البلد الذي يتحدث هذه اللغة وعاداته وأخلاقه وحضارته وثقافته، وذلك عن طريق اتصالات مباشرة في البلد نفسه الذي يتحدث هذه اللغة[35].

الجاحظ وترجمة الشعر:

أنكر الجاحظ في وقت مبكر قابلية الشعر للترجمة وله في ذلك حجج مثبته في كتاب الحيوان منها قوله "فضيلة الشعر مقصورة على العرب، ومن تكلم بلسان العرب، والشعر لا يستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، وحتى حول انقطع نظمه وبطل وزنه، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب، لا كالكلام، المنثور.."[36].

ومنها أيضا قوله (وقد نقلت كتب الهند، وترجمت حكم اليونانية وحولت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسناً، وبعضها انتقص شيئاً، ولو حولت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو

الوزن، مع أنهم لو حولوه لم يجدوا في معانيها شيئا لم تذكره العجم في كتبهم التي وضعت لمعانيهم وفضلهم وحكمهم"[37].

وإذا كان الجاحظ قد أقر بأن "الكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من المنثور الذي تحول من موزون الشعر"[38]، فإلى أي مدى يصلح النص النثري للترجمة؟

يجيب جورج مونان على هذا السؤال بقوله "بدلاً من القول بأن كل شيء يمكن ترجمته أو من كل يتعذر ترجمته، فإنه يتعين علينا أن نبدأ بحصر منهجي لكل الوقائع غير القابلة للترجمة ووصفها في مدونة معينة"[39].

إن هذا التصنيف المنهجي يشكل في الوقت نفسه تصنيفاً لصعوبات الترجمة، والإلمام بهذه الصعوبات يشكل أحدى الخطوات الأولى لحلها والمتمثلة في البحث عن المنهج الأفضل أو الأسلوب الأمثل في الترجمة[40].

التداخل بين اللغات:

يركز الجاحظ كذلك على ظاهرة التداخلات اللغوية بين اللغات، فكل لغة تأخذ من الأخرى، تتعارض أو تتجاذب معها.

وهذه التداخلات لا تحدث دوماً بسبب نقص معجمي في اللغة – الهدف، ولا بسبب أدراك سيء لمحتوى النص– المصدر، بقدر ما تكون نتيجة الانجذاب الشكلي للنص– المصدر[41].

ويطلق البعض على ظاهرة التداخلات اللغوية بـ (فساد اللغة العربية) عبر اتصالها بلغات أخرى بصفة مستمرة.

من جهة أخرى فأن مرحلة الترجمات وما نتج عنها من إغناء للغة، أو فساد في نظر المتشددين، تلتها حركة أريد من خلالها القيام بعملية فرز للمصطلحات العربية الصرف عن المصطلحات ذات الأصل الأجنبي، وتجلى هذا الموقف المتشدد على سبيل المثال بعملية تجميع اللغة التي قام بها ابن منظور في لسان العرب في القرن الثامن الهجري، والذي كان يرمي من ورائه التمييز بين الكلمات العربية الخالصة كما هي في العربية الفصيحة أو النص المقدس، وبين المصطلحات الدخيلة[42].

ويتعرض الجاحظ في كتاب البيان والتبيين لمفهوم فساد اللسان[43]. ويرى منظرو الترجمة أن خطر التداخلات قليل بصفة عامة بين اللغات المتباعدة، ولا تعاني الترجمة إلى العربية في الوقت الراهن من هذه المشكلة، وذلك تكون صرفها ونحوها مختلفين جداً عن لغات المصدر كالفرنسية أو الإنكليزية باستثناءات قليلة يعبر عنها (بالانزلاقات الدلالية الناجمة عن الترجمة الاستنساخية)[44].

انعدام التكافؤ:

يضيف الجاحظ إشكالية أخرى يتعرض لها المترجم يمكن وصفها في إطار نظرية المعني بالشكل المغلوط، وتتمثل هذه الإشكالية في انعدام وجود تكافؤ بين اللغات التي يشتغل عليها المترجم.

وتطرح هذه الإشكالية حتى عندما لا تكون القدرة اللغوية للمترجم موضع شك وبصفة خاصة حين يكون الأمر متعلقاً بنقل نسق فلسفي بكامله إلى العربية.

ويمكن القول أن ملاحظات الجاحظ حول تراتب اللغات في إطار سياق نقاش واسع يهم تفوق ثقافة ما على ثقافة أخرى. وكان مثل هذا النقاش محتدماً في العراق بوصفه ملتقى للثقافات في تلك الحقبة التاريخية وهو الذي يعبر عنه الجاحظ كما يعبر عنه كتاب متأخرون مثل التوحيدي في القرن العاشر[45].

موقف الجاحظ من ترجمة كتب الأديان :

تحفظ الجاحظ كثيراً إزاء ترجمة الكتب المقدسة حيث يعتقد أن ترجمتها عويصة وتستلزم شروطا خاصة و الخطأ فيها أضر[46].

وهذا الموقف المتحفظ للجاحظ إزاء ترجمة هذا النوع من الكتب يعود إلى ما يطلق عليه جان دوليل بالفرق بين النصوص التقنية والنصوص الوظيفية والنصوص المقدسة التي تتصل بميدان واسع من التفسير، والتي تكون فيها أخطاء الترجمة أفدح وأخطر[47].

وينشغل الجاحظ بفهم النص المراد ترجمته أو باستيعاب المعنى انطلاقاً من اللغة، وانطلاقاً أيضاً من كل ما يوجد خارج هذه المعاني والدلالات كالمضمون المحتمل الذي تحمله الكلمات، والذي يرتبط بحمولة معرفية لا يتوفر عليها المترجم بالضرورة، وفي ضوء ذلك يرى نقاد الترجمة أنه على المترجم إذا أراد القيام بترجمة جيدة أن لا يقتصر على فهم اللغة التي يترجم عنها فحسب، بل أن يتمثل أفكارها مثلما عبر عنها صاحبها.

ويعتقد عبد الرحمن بدوي أن مخاوف الجاحظ وتحفظه على ترجمة القرآن الكريم ناجمة عن كون المعتزلة كانوا ربما يفكرون في ترجمة النصوص القرآنية إلى لغات الأمة الإسلامية، وكان الجاحظ بصفته مدافعاً عن اللغة العربية ضد حركات الهوية الثقافية للبلدان المفتوحة، والفارسية بوجه خاص وضد إدخال فلسفة اليونان، وكان يريد الوقوف في وجه هذه المحاولات[48].

لقد عدل الجاحظ دون شك عدة نسخ عربية من كتاب الحيوان لأرسطو الذي كان قد ترجم إلى العربية من طرف ابن البطريق، ثم من طرف أبي علي بن زرعه، سواء من حيث الشكل أو من حيث اللغة العربية التي كان يتقنها كثيراً، بل كان في بعض الأحيان يورد هذه الترجمات معتذراً للقراء عن الإساءات التي يتعرض إليها النص الأصلي على يد المترجم[49].

الخاتمة

عـرف العـرب الترجمـة منـذ عهـود قديمـة بوصـفها نشـاطاً إنسـانياً، وأداة للتواصـل مـع الأمـم والشعوب الأخرى.

وانتعشت حركة الترجمة بعد الدعوة الإسلامية وقيام الدولة العربية الإسلامية بسبب الحاجة إلى توسيع دائرة انتشار الدين الإسلامي في أرجاء الأرض ومخاطبة الشعوب غير العربية بلغاتهم الأم.

وشهد العصر العباسي الأول توسعاً كبيراً في الترجمة أكثر من العصور السابقة بعد أن أصبحت الترجمة نشاطاً من أنشطة الدولة على أثر إنشاء بيت الحكمة بوصفه مؤسسة أكاديمية عليا تهتم بالترجمة وتؤطر جهود العلماء والمترجمين حيث أصبحت هذه المؤسسة رمزاً لنهضة الثقافة العربية الإسلامية.

وكان لرعاية الخلفاء العباسيين للترجمة ودعمهم للمترجمين دوراً بارزاً في ظهور كوكبة من المترجمين المحترفين الذين نقلوا الثقافة والتراث اليوناني والفارسي والهندي إلى اللغة العربية وفي مختلف صنوف المعرفة الإنسانية والعلمية.

ومع ازدهار حركة الترجمة ظهرت نظريات وآراء بشأن آليات وأسس الترجمة وصفاتها وعوامل نجاح المترجم بعمله مثلتها خير تمثيل نظرية الجاحظ عن الترجمة.

إن ما أنجزته الترجمة وما قدمته للحضارة العربية يمثل ركناً جوهرياً في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ونهضة العلم وتحقيق التفاعل الثقافي والحضاري بين العرب والشعوب الإسلامية الأخرى.

الهوامش:

(1) حاجي خليفة، كشف الظنون، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992، ص679.

(2) ينظر: أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط1، القاهرة: المطبعة الوهبية، 1882، ج1، ص123.

(3) أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، كتاب طبقات الأمم، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، ص47.

(4) ويل ديوارانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، بيروت، دار الجيل، 1988، ج13، ص177.

(5) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أسحق، الفهرست، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1338م، ص532.

(6) أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص260.

(7) زهير قوتال، ترجمة الفلسفة إلى العربية دراسة تاريخية نقدية، مجلة العربية والترجمة، بيروت، العدد 14، صيف 2013، ص31.

(8) ينظر: مايرهوف، من الإسكندرية إلى بغداد، في: بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ص57.

(9) زهير قوتال، مرجع سابق، ص31.

(10) المرجع السابق.

(11) محمد محمد الحاج حسن الكمالي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية: نظرية المعرفة في ثوب جديد، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1993، ص26.

(12) حسام الدين مصطفى، دور الترجمة والتعريب في تطور حركة البحث العلمي، تم استرجاعه في 2011/05/22 http://www.almoltaqa.com.

(13) نور الدين صدار، دور الترجمة والتعريب في التفاعل الثقافي والحضاري، مجلة العربية والترجمة، بيروت، العدد 13، ربيع 2013.

(14) بسمة أحمد صدقي الدجاني، دور الترجمة في حوار الحضارات: www.najah.edu/file/publications/books.doc1307443413

(15) فيصل حسين غوادره، الترجمة بين الذات والآخر،

Scholar.najah.edu/…/summary-research-translation-between-self-and-other.pdf

(16) بسمة أحمد صدقي الدجاني، مصدر سابق.

(17) نور الدين صدار، مرجع سابق، ص65.

(18) بسمة أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق.

(19) محمد عصفور، الترجمة طريق إلى المستقبل، مؤتمر اللغة العربية في المؤسسات الأردنية، الأردن: منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 2009، ص30.

(20) المرجع السابق، ص31.

(21) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط10، بيروت: دار الكتاب العربي، 1953، ج1، ص163.

(22) نور الدين صدار، مرجع سابق، ص67.

(23) أحمد أمين، مرجع سابق، ص177.

(24) المرجع نفسه، ص178.

(25) المرجع نفسه، ص179.

(26) ابن النديم، الفهرست، ضبطه وشرحه يوسف علي طويل، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002، ص477.

(27) أحمد أمين، مرجع سابق، ص249.

(28) تنظر: مجلة المورد، بغداد، وزارة الثقافة، عدد خاص عن الجاحظ، المجلد السابع، العدد الرابع، 1978.

(29) محمد بن عبدالغني المصري، نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، ط1، القاهرة: دار مجد الأدبي، 1987، ص21.

(30) عبد القادر سلامي، الترجمة بن التعذر وإغفال التراث، مجلة العربية والترجمة، العدد 11 خريف 2012، ص27.

(31) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، 76/1-77، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، مصر ، مطبعة الحلبي ، 1995.

(32) إنعام بيوض منور، الأساليب التقنية للترجمة، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الترجمة في الجزائر، الجزائر، 1992، ص53.

(33) الجاحظ، كتاب الحيوان، مصدر سابق، 78/1.

(34) جورج مونان، علم اللغة والترجمة، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم، مراجعة أحمد فؤاد عفيفي، ط1 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة) 2002 م، ص105.

(35) المرجع السابق، ص51.

(36) الجاحظ ، كتاب الحيوان، 74/1-75.

(37) المرجع السابق، 75/1.

(38) المرجع السابق.

(39) جورج مونان، مرجع سابق، ص33.

(40) عبد القادر سلامي، مرجع سابق، ص35.

(41) مريم سلامة كار ، الجاحظ الترجمة، ترجمة عبد الحق لمسالمي، مراجعة مصفى النحال، والنص مأخوذ عن كتاب:

Abbasside La traduction a lepoque, Myriam SALMA – CARR, Coll. Traductologie 06 Didier Erudition, 1990, pp 91 – 101.

(42) ابن منظور ، لسان العرب.

(43) الجاحظ، كتاب البيان والتبيين في مجلدين.

(44) مريم سلامة كار ، مرجع سابق.

(45) التوحيدي، الامتناع والمؤانسة، القاهرة، ا، ص70-96 و ص108-129.

(46) الجاحظ كتاب الحيوان، مرجع سابق.

(47) مريم سلامة كار مرجع سابق.

(48) المرجع السابق.

(49) الجاحظ كتاب، الحيوان، مرجع سابق، ص19.